كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

العدول البياني وجمالياته في سورة الواقعة

إعداد

د/ زمزم عبدالمنعم شحاته

مدرس البلاغة والنقد بكلية البنات الإسلامية بأسيوط

(العدد الثامن والثلاثون الجزء الثالث ٢٠١٩م)

الملخص باللغة العربية

هذا البحث بعنوان (العدول البياني وجمالياته في سورة الواقعة) ، والعدول في النص القرآني هو أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم وسرّ التحدي للبشرعامة الذين لم يبنوا لغاتهم على نظام مطّرد معجز.

والعدول تتعدد مظاهره وأشكاله ، فلا يكاد يخلو مبحث من مباحث علم البيان من رصد صورة للأصل ، ثم بيان الصورة البلاغية التي تحقق من خلالها العدول عن هذا الأصل .

وقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد وثلاث مباحث، وخاتمه .

المقدمة : وضحت فيها موضوع البحث ، وسبب اختياره ، وأهميته.

التمهيد : وفيه بيان لدلالة العدول اللغوية ، والاصطلاحية ، ، ومقاصد سورة الواقعة .

المبحث الأول : العدول البياني (التشبيه) في سورة الواقعة .

المبحث الثاني : العدول البياني (المجاز المرسل والاستعارة) في سورة الواقعة.

المبحث الثالث : العدول البياني (الكنائي) في سورة الواقعة

والخاتمة متضمنة لأهم نتائج البحث ، ومنها ، توظف العدول البياني في سورة الواقعة للدلالة على المعاني الكامنة وراء الألفاظ خير توظيف ، وأدركت القيم البلاغية والإيحاءات المفهومة من المدلولات فالعدول البياني يمثل عملية واعية تقوم على رصد الصلات المشتركة بين المعنى الأول المباشر للألفاظ والمعنى الثاني .

The Rhetorical Refutation and its Aesthetics In Sura Al - Waqi'ah

Prepared by

Dr. Zamzam Abdel Moneim Shehata
Teacher of Rhetoric and Criticism, Assiut Faculty of Islamic Girls

Zamzamabdalside.78@azhar.edu.eg

Research Summary

This research is titled (The Rhetorical Refutation and its Aesthetics in Sura Al – Waqi'ah), Refutation in the Holy Quran text is one of the faces of the miracle of the Holy Quran, and The big challenge for all people who did not build their languages on a steady, miraculous system.

Refutation has many manifestations and forms, it is hardly devoid of research of the statement of science to monitor the image of the original, and then the rhetorical image through which to reverse the original.

The research came in the introduction, preface and three detectives, and conclusion.

Introduction: Explained the subject of the research, the reason for its selection, and its importance.

Preface: A statement indicating the linguistic, idiomatic, and purposes of Sura Al- Waqi'ah.

The first topic: The Rhetorical Refutation (The Analogy) in Sura Al- Waqi'ah.

The second topic: The Rhetorical Refutation (Sender Metaphor and Metaphor) In Sura Al-Waqi'ah.

The third topic: The Rhetorical Refutation (Metonymy) in Sura Al- Waqi'ah.

Conclusion : includes the most important results of the research, including, employs the Rhetorical Refutation in Sura

Al- Waqi'ah To denote the meanings behind the words the best meaning, and realized the rhetorical values and understandable connotations of the implications.

The Rhetorical Refutation is a conscious process based on monitoring the interrelationships between the first direct meaning of words and the second meaning.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، حمدا كثيرا مباركا فيه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونسأله الهداية والتوفيق ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا – صلى الله عليه وسلم – عبده ورسوله ، فصلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله وأصاحبه أجمعين.

وبعد،،،،،،

فلغتنا العربية هي لغة تفيض حسنا ، وتختال بهاء ، نراها تسمو وتزهو بما اشتملت عليه من المرونة ومظاهر الإبداع ، فتتباين فيها التراكيب ذكرا وحذفا وتقديما وتأخيرا وإثباتا ونفيا وقصدا وإبهاما ، واللغة العربية محفوظة بفضل القرآن الكريم ، فلا يعرض لبيانها قصور ولا كذب ، لغة مؤثرة في السامع والمتلقي بصياغة وانتظام بنيوي بديع ، وتتعدد صور تنوع الإبداع ،ومنها العدول بما يحمل فيها ـ من منظور الدراسات البلاغية ـ سمة جمالية إبداعية فنية مؤثرة .

فالعدول في النص القرآني ، هو نظام العربية في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية ، وهو أحد وجوه إعجاز القرآن وسرّ التحدي للبشرعامة الذين لم يبنوا لغاتهم على نظام مطّرد معجز.

وهذا النظام المعجز من أسباب حفظ القرآن منذ نزوله حتى يومنا هذا من غير تغيير أو تطورلفظي في نصه ، فاللفظ ثابت والمعنى متحرك ، و ذلك لأن نظام القرآن يحوي المتغيرات الزمانية والمكانية ، وهو – كذلك – أهم وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم ، فنظامه اللغوي يشبه نظام الكون المبني على التشابه والترابط أيضا، إذ مصدرهما واحد وهو الله تعالى .

والقرآن الكريم جاء بلغة موافقة لما كان عليه العرب ، ولكنه يحمل نمطا فريدا يعلو على أسلوب المخلوق ، لأنه كلام الخالق عز وجل في كل مقاماته دون تفاوت في الجودة حسب سياق ومقام كل نظم ، ولذلك جاء أسلوبه مخالفا للأساليب المعهودة عندهم من شعر ونثر و أراجيز، بدون تفاوت في الجودة من بدايته حتى نهايته على الرغم من طوله ، بالإضافة لما في القرآن من أسرار ودلالات خفية ، وبذا تتجاوز المعنى السطحي الظاهر إلى الدلالات الباطنة والكامنة.

والعرب درسوا اللغة الأدبية من خلال مقارنتها بالاستعمال العادي للغة ، وعندما تعدل اللغة عن استعمالها العادي ، فإنها تحمل المعاني البلاغية والصور الإيحائية الفنية .

والعدول تتعدد مظاهره وأشكاله ، فلا يكاد يخلو مبحث من مباحث علم البيان من رصد صورة للأصل ، ثم بيان الصورة البلاغية التي تحقق من خلالها العدول عن هذا الأصل .

والأسلوب من حيث هو طريقة الفرد الخاصة في التعبير عن مكنون ذاته ومترجم لشخصيته ، سيظل مرتبطا دائما بالعدول ، وهو الذي يفرق بين أساليب الكتاب فيما بينهم ، وهو الذي يفرق بين أساليب الأدب وغيرها كالأساليب العلمية .

والعدول إجراء بلاغي نقدي يستخدم لدراسة لغة النص القرآني وإظهار جمالياته ، ولذا فسوف يكون هذا البحث محاولة للوقوف على بعض الجماليات لمظاهر االعدول البياني في النص القرآني من خلال سورة الواقعة، حيث يتم توضيح العدول للكلمات عن دلالتها الوضعية المعجمية إلى الاستخدام المجازي والكنائي لها ، لتنشئ صورة لها نسقها الجمالي الخاص بها الذي يخدم المعاني والمقاصد في سورة الواقعة ، وتدعو إلى التدبر والتأمل حتى تدرك المقاصد

والإيحاءات العميقة للنص ، ولا تقتصر على المعنى السطحي الظاهرالمفهوم ، وكذلك التشبيهات ودورها في ترسيخ المعاني الواردة فيها .

ومن ثم جاء بحثي في مقدمة ، وتمهيد وثلاث مباحث، وخاتمه ، وثبت للمراجع.

المقدمة : وضحت فيها موضوع البحث ، وسبب اختياره ، وأهميته ، ومقاصد سورة الواقعة.

التمهيد :وفيه بيان لدلالة العدول اللغوية ، والاصطلاحية ، .

المبحث الأول : العدول البياني (التشبيه) في سورة الواقعة .

المبحث الثاني : العدول البياني (المجاز المرسل والاستعارة) في سورة الواقعة.

المبحث الثالث : العدول البياني (الكنائي) في سورةالواقعة.

الخاتمة متضمنة النتائج ، ثم فهرس المراجع مرتبا ترتيبا ألفبائيا .

التمهيد

دلالة العدول اللغوية والاصطلاحية عند العرب

دلالة العدول اللغوية :

جاء في لسان العرب (عدل عن الشيء يعدل عدلا وعدولا حاد عن الطريق جار وعدل إليه عدولا رجع ، وماله معدل ولا معدول أي مصرف ، وعدل الطريق مال،....والعدل : أن تعدل الشيء عن وجهه ، تقول عدلت فلانا عن طريق وعدلت الدابة إلى موضع كذا)[١].

وجاء في القاموس المحيط ، بمعنى: (ترك الشيء والانصراف عنه إلى غيره ، يقال : عدل الفحل عن الضراب ، أي تركه وانصرف عنه)[٢].

وفي معجم العين العدول في اللغة : (هو الميل والإنعراج ، وهو دلالة على حياد الشئ عن وجهته وإمالته عنها) [٣] .

وبذا فالعدول يحمل معنى الخروج والحياد والميل عن أصل إلى غيره، أو الانتقال من حالة إلى حالة أخرى ، وهذا الميل والانتقال له أثره الفني والجمالي ، فضلا عن أثره البين في تحقق المعنى وتأدية الغرض المراد منه.

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت ، " د.ط" ،١٩٩٤ ، مادة عدل .

(٢) القاموس المحيط ، مجد الدين يعقوب الفيروزأبادي ، تح ، التراث مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢، باب العين ، فصل اللام.

(٣) معجم العين ، الفراهيدي : مادة " عدل " ؟

دلالة العدول الاصطلاحية :

و العدول كمصطلح ورد في كتب التراث النقدية والبلاغية والنحوية ، انطلاقا من سيبوية وابن جني وعبدالقاهر وابن الأثير، وكذلك اعتمده الكثير من المحدثين[١] ، وكان يرد هذا المصطلح تارة بلفظة وتارة بمشتقاته أو بمرادفاته.

وتدور دلالة العدول في المعجم العربي حول الخروج عن النص المألوف ، ليخرق التقاليد المتعارف عليها بين مستعملي اللغة ، كونها تمثل الطاقات الإيحائية في الأسلوب.

فقد وجدنا أن أبا عبيدة "٢١٠هـ " عدَّ العدول من أشكال المجاز في القرآن الكريم في قوله : (ومجاز ما جاء لفظه الواحد ووقع على الجميع ، ومجاز ما جاء لفظ الجميع ووقع معناه على الاثنين ، ومجاز ما جاء لفظه خبر الجميع على لفظ خبر الواحد ، ومجاز ما جاء الجميع في موضع الواحد ....، وكلٌّ هذا جائز قد تكلموا به [٢] ، وذلك بناء على أن المجاز عنده لا يقصد به المعنى الاصطلاحي عند شراح التلخيص ، وإنما المجاز عند أبي عبيده مستعمل في طريقة التعبير التي جاء عليها الكلام .

و يورد ابن جني"٣٩٢" مصطلح العدول مرتبطا بمصطلح آخر هو : " الاتساع"، وذلك في إطار حديثه عن الحقيقة والمجاز فيقول :(إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة ، وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة)[٣].

---

(١) الأسلوبية والأسلوب ، عبدالسلام المسدي ، ط٣ ، الدار العربية للكتاب ، ص١٢٤.

(٢) مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ط القاهرة ، مكتبة الخانجي ،عام ١٣٨١ ، ص ١٨.

(٣) الخصائص ، ابن جني ، تحقيق / محمد علي النجار ،ط ٢ ، دار الهدى للطباعة ، بيروت ، ج٢/٤٤٢

ويأتي أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) إ فيستعمل مصطلح العدول استعمالا صريحا في مدلوله المعاصر في قوله تعالى : (وعندنا أن الرحيم مبالغة لعدوله ، وإن الرحمن أشد مبالغة، لأنه أشد عدولا ،إذا كان العدول للدلالة على المبالغة، وكلما كان أشد عدولا كان أشد مبالغة)[١].

وتناوله عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) في قوله : " عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافا لها ، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز)[٢].

وعبد القاهر الجرجاني أولى عنايةً خاصة ل (العدول) ، وكان يعتبره ميزة كبيرة من مميزات الشعر، يقول عبد القاهر : (الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدة ، وذلك إذا قصدت أن تخبر مثلا عن زيد بالخروج على الحقيقة، فقلت :خرج زيد ، وبالانطلاق عن عمرو فقلت:عمرو منطلق، وعلى هذا القياس ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحدة ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضي موضوعه في أصل اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض .... وإذا قد عرفت هذه الجملة فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول :المعنى ومعنى المعنى، ونعنى بالمعنى، المفهوم من ظاهر اللفظ...وبمعنى المعنى ، أن تعقل من اللفظ معنى ثم يقتضي بك ذلك

(١) الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري، تحقيق / محمد باسل ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ،٢٠٠٠م ، ص٢٢١

(٢) دلائل الإعجاز ، تحقيق / محمود شاكر ،ص٦٢.

المعنى إلى معنى آخر .....)[1] والعدول يستهدف خرق نظام الدلالة ، بوصفه نظام العلاقة بين الدوال ومدلولاتها .

ويقول العلوي (٧٤٩هـ) عن الالتفات : (هو العدول في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول)[2].

وأبو يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) كشف عن مظاهر العدول التي تخرج باللغة عن الاستعمال العادي ، وعدد منها الالتفات ، والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي ، أو الماضي بلفظ المضارع ، ووضع المظهر موضع المضمر ، ووضع المضمر موضع المظهر، وغيرها من ظواهر العدول[3].

حتى إذا وصلنا إلى ابن الأثير(٦٣٦هـ) نجده يكرر لفظ العدول في أكثر من موضع ، بل يؤكد على وظيفته الجمالية يقول : (واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة ، الذي اطلع على أسرارها ، وفتش عن دفائنها)[4].

---

(١) دلائل الإعجاز – عبدالقاهر الجرجاني ، تعليق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط١ ١٩٩٤، ص١٧٧.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى حمزة العلوي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١٩٨٠مـ ، ٢/ ١٣٢.

(٣) ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي / تحقيق/ عبدالحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠مـ.

(٤) المثل الثائر في أدب الكاتب والناثر، لابن الأثير ، تحقيق /د بدوي طبانه و د/ أحمد الخولي مكتبة نهضة مصر،١٩٦٠م ، ٢/١٨٠.

أما العدول في الاصطلاحي ، فهو الميل عن النظام أو الأصل اللُّغوي [١] ، وحاول بعض الباحثين وضع تعريف جامع مانع ، فقال: (مجاوزة السنن المألوف بين الناس في محاوراتهم ، وضروب معاملاتهم لتحقيق سمة جمالية في القول تمتع القارئ ، وتطرب السامع ، وبها يصير نصا أدبيا)[٢].

(والعدول والتحويل و الاتساع و المجاز و التغيير والانحراف والتحريف والخروج واللحن والنقل والرجوع والالتفات والصرف والانصراف والتلوين ومخالفة مقتضى الظاهر ، وشجاعة العربية ، والحمل على المعنى ، والترك ، ونقض العادة [٣]) وهذه المصطحات جميعها تلتقي حول مفهوم واحد هو العدول عن الأصل إلى استعمال خاص .

ولكن مصطلح العدول أولى من أي مترادفات أخرى لأنه مصطلح عربي صميم، وألصق بالتراث البلاغي والنقدي العربي.

مما سبق يظهر جليا عمق ما وصل إليه الباحثون القدماء في تعريفهم لمصطلح العدول بالانتقال من معنى إلى معنى ، وعلى هذا فالعدول يهتم بدلالة الألفاظ في صيغ الاستعمال ، وبالبيان العربي في لفتاته البلاغية ، و العدول ظاهرة بين طرفين ، معدول عنه ومعدول إليه ، وفكرة العدول تعني ترك المعدول عنه ، والانتقال إلى المعدول إليه، وهذا يعني أن الانتقال في النص من السياق المعهود

---

(١) الإعجاز الصرفي ، عبدالحميد هنداوي ،عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت،ط١ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ص ١٤١.

(٢) رؤية في العدول عن النمطية في التعبير الأدبي ، د. عبد الموجود متولي بهنسي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤مـ ص٥.

(٣) يراجع العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر ، مصطفى السعدي، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٠ م ص١٧.

المألوف ، إلى سياق جديد غير معتاد مما يثير التساؤل ، ويلفت النظر والانتباه يعد عدولا.

وهناك نوعان للعدول: العدول عن ظاهر اللفظ والتركيب أي في المبنى ، والعدول عن ظاهر المعنى، والبلاغيون والنقاد أكثر عناية بالثاني ولاسيما في علم البيان في مباحث الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة والصور البيانية [١].

ولا بد عند الحديث عن العدول من إيضاح مقابله البلاغي " الأصل " المعدول عنه ، لأن (معرفة أصل المعنى تبدو مهمة بالنسبة للبلاغي في ظل الكلام عن الكيفيات التي يطابق بها اللفظ مقتضى الحال ، لأنه من خلالها يستطيع أن يكشف عن المزايا الفنية في التركيب ، وبالتالي يستطيع أن يحدد مواطن الصواب والخطأ البلاغي وفق ما تملية نظرية مطابقة الكلام لمقتضى الحال[٢].

و كما نعلم أن اللغة لها مستويان ،المستوى المثالي "العادي" ويتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب ، والمستوى الإبداعي "الفني " وهو يخترق الاستعمال المألوف للغة[٣]، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة ، وذلك لجعل جماليات في الأسلوب الخطابي ، وبذلك يصبح الخطاب أشد تأثيرا في المتلقى والمخاطب.

---

(١) ينظر: البيان والتبيين عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت عام ١٤٢٣هـ١/٥١ ..

(٢) مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ،حامد صالح الربيعي ،الناشر جامعة ام القرى ،١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م ، ص٥٨٣.

(٣) ينظر البلاغة والأسلوبية ، عبدالمطلب محمد ، الهيئة المصرية العامة ، ط ٤ ، ١٩٩٨ ، ص ١٩٨.

والمستوى المثالي للغة يعتمد اعتمادا أساسيا على علم النحو وقواعده ، ويعتمد على اللغة في تنسيق وترتيب عناصر جمله، وعلى ذلك إذا طبقت قواعد النحو واللغة على الكلام أصبحت اللغة في مستواها المثالي العادي ، ويهتم بذلك علماء اللغة والنحو ، فهدفهم الأول هو تطبيق القواعد النحوية وعدم خرق لهذه القواعد إلا للضرورة أو شذوذا .

فالبلاغيون يتفننون في انتهاك هذه المثالية اللغوية والعدول عنها إلى أساليبهم البلاغية الفنية بهدف تحقيق اللذة والمتعة الفنية التي هي من أهم أهدافهم ، فالذي يشغل بالهم وينال عنايتهم الخاصة هو المستوى الإبداعي للغة " اللغة الفنية "وبذا يخرج الأسلوب من الرتابة إلى الطرافة ، ويتحول إلى أسلوب أدبي رفيع يؤثر في الوجدان والفكر معا ، ويصل بذلك إلى الهدف المقصود من استعماله الأسلوب الأدبي بما فيه من عدول انتهاكات للغة المثالية .

مناسبة سورة الواقعة لما قبلها " سورة الرحمن":

جاء في البحر المحيط في مناسبة سورة الواقعة لسورة الرحمن (ومُنَاسَبَتُهَا لِمَا قَبْلَهَا تَضَمُّنُ الْعَذَابِ لِلْمُجْرِمِينَ، وَالنَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وفَاضَلَ بَيْنَ جَنَّتَيْ بَعْضِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَنَّتَيْ بَعْضٍ آخر منهم بقوله تعالى: " مِنْ دُونِهِما جَنَّتانِ " (٦٢) الرحمن، فَانْقَسَمَ الْعَالَمُ بِذَلِكَ إِلَى كَافِرٍ وَمُؤْمِنٍ مَفْضُولٍ وَمُؤْمِنٍ فَاضِلٍ وَهَكَذَا جَاءَ ابْتِدَاءُ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ كَوْنِهِمْ أَصْحَابَ مَيْمَنَةٍ، وَأَصْحَابَ مَشْأَمَةٍ، وَسِبَاقٍ وَهُمُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ وَالْمُكَذِّبُونَ الْمُخْتَتَمُ بِهِمْ آخِرُ هَذِهِ السورة)[1].

(١) البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ ،٧٥/١٠.

وقد جاء العدول البياني في سورة الواقعة بصوره المختلفة – التشبيه والمجاز والكناية – لتحقيق مقاصد وأغراض سورة الواقعة من (التَّذْكِيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَحْقِيقُ وُقُوعِهِ ، وَوَصْفُ مَا يُعْرَضُ وَهَذَا الْعَالِمِ الْأَرْضِيِّ عِنْدَ سَاعَةِ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ صِفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَبَعْضُ نَعِيمِهِم ، وَصِفَةُ أَهْلِ النَّارِ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ وَأَنَّ ذَلِكَ لِتَكْذِيبِهِمْ بِالْبَعْثِ، وَإِثْبَاتُ الْحَشْرِ وَالْجَزَاءِ ، وَالْاِسْتِدْلَالِ عَلَى إِمْكَانِ الْخَلْقِ الثَّانِي بِمَا أَبْدَعَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ ، والاستدلال بنزع الله الأرواح من الأجساد والناس كارهون لا يستطيع أحد منعها من الخروج عَلَى أَنَّ الَّذِي قَدِرَ عَلَى نَزْعِهَا بِدُونِ مُدَافِعٍ قَادِرٌ عَلَى إِرْجَاعِهَا مَتى أَرَادَ على أَنْ يُمِيتَهُمْ)[1].

١ – التحرير والتنوير ،٢٧/٢٨٠.

المبحث الأول

العدول البياني (التشبيه) في سورة الواقعة

العدول البياني أسلوب من أساليب الأداء غير المباشر يتم عن طريق عدة وجوه وألوان بلاغية كالتشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والمجاز المرسل ، وسوف أتناول مظاهر العدول البياني التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل " في سورة الواقعة ، وكيف وظفها القرآن الكريم للكشف عن معانيه التي عدل إليها من المعنى الأصلي ، وما فيه من إيحاءات ومقاصد تدعو إلى التأمل والتدبر.

ولقد وقف البلاغيون لإبراز سر جمال العدول البياني، سواء أكان تشبيها أم استعارة أم كناية ، ووجدنا أن التشبيه جماله في التقريب والتوضيح والتفسير ، والاستعارة سر جمالها في التأثير ، والكناية سر جمالها أنها تأتي بالحجة ومعها دليلها ، وهكذا لا يرى البلاغيون أثرا نفسيا إلا للاستعارة ، والتشبيه والكناية فجمالها عقلي منطقي .[١]

والتشبيه في اللغة : التمثيل والمماثلة ، ويقال شبهت هذا بهذا تشبيها ، أي مثلته به ، والشبه والشبيه : المثل ، والجمع أشباه ، وأشبه الشيء الشيء : ماثله[٢].

(١) البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، مصطفى الصاوي الجويني ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٣٥ ، ص ١٣٠.

(٢) التشبيه والاستعارة " منظور مستأنف " ط١ ، عمان ، دار المسيرة ص١٥

يقول القزويني عن قيمة التشبيه :(أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمرة في فن البلاغة ، وأن تعقيب المعاني به يضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحا كانت أو ذما أو افتخارا)(١).

فالتشبيه يعد من ضمن صور العدول البياني (.... فالتشبيه يتأكد بعده الفني من خلال أنواع العدول ..... سواء كان بحذف بعض عناصره ، أو بالإغراب في تشبيه المتباعدات (التشبيه الغريب) ، أو في قلب طرفي الصورة التشبيهية)(٢).

ويَبنِي السكاكي قوةَ التشبيه أيضًا على أساس حصر أحوال التشبيه ؛ حيث إنَّه قال: "والحاصل مِن مراتب التشبيه ثمانٍ، أحدها: ذكْر أركانه الأربعة... وثانيتها: ترْك المشبَّه... وثالثتها: ترْك كلمة التشبيه، كقولك: زيد أسد في الشجاعة، وفيها نوع قوَّة ، و رابعتها: ترْك المشبَّه وكلمة التشبيه... وثامنتها: إفراد المشبَّه به في الذِكْر، كقولك: "أسد" في الخبر عن زيد، وهي كالسابعة)(٣).

فقول السكاكي في النص السابق : " ذكر أركانه الأربعة " ، ثم قوله " ترك المشبه" ، ثم قوله :" ترك كلمة التشبيه ، يعني بهذه الأقوال : العدول عن الذكر لغرض بلاغي يقتضيه السياق والمقام، فالتشبيه يعتمد على أربعة أركان معروفه " المشبه والمشبه به ، وآداة التشبيه ووجه الشبه) ، فعند حذف أي ركن من الأركان يتحقق العدول ، فكأنه عدل عن الأصل إلى غيره.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبوعبدالله القزويني ، ط١ ، ، ٢٦١ ، دار الكتب العلمية ، ص٢١٨.

(٢) مجلة مقاليد ، العدد الثاني – ديسمبر ٢٠١١ " المنظومة الإصطلاحية للبلاغة العربية وأهميتها في التحليل البلاغي " ، د.مسعود بودوخة ، جامعة سطيف" الجزائر " ،ص ٢٥.

(٣) مفتاح العلوم ، ص ١٦٨.

وهذا العدول لايعني إبدال صفات الأول " المشبه" بالثاني "المشبه بـه"، بل يراد عملية التفاعل بين الطرفين وصفاتهما بحيث لا تختفي صفات المشبه تماما بل تتراجع إلى الخلف لتحل محلها صفات المشبه به ، ومن خلال هذا التفاعل يظهر العدول .

فالتشبيه جزء من الصورة البيانية ، وهي إجراء عدولي يعمد إليه المبدع أو المنشىء ، ليعبر بها عن حالات لا يمكن له أن يجسدها بدون الصورة ، والتشبيه يساعد في تكوين تلك الصورة التي تحدث في المتلقي تلك الهزة التي تشعره باللذة ، وهذه اللذة نفسها هي التي يحدثها العدول عن اللغة العادية في التعبير.

ومن التشبيهات الواردة في سورة الواقعة ما يلي :

قوله تعالى : (وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (5) فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا(6) والْبَسُّ يُطْلَقُ بِمَعْنَى الْتَّفَتُّتِ وَهُوَ تَفَرُّقُ الْأَجْزَاءِ الْمَجْمُوعَةِ، وَمِنْهُ الْبَسِيسَةُ مِنْ أَسْمَاءِ السَّوِيقِ أَيْ فُتِّتَتِ الْجِبَالُ وَنُسِفَتْ ... وَالْهَبَاءُ :مَا يَلُوحُ فِي خُيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ مِنْ دَقِيقِ الْغُبَارِ....وقوله : فَكانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا تَشْبِيهٌ بَلِيغٌ، أَيْ فَكَانَتْ كَالْهَبَاءِ الْمُنْبَثِّ[1] فالآية تصور مشهد الجبال عندما تتفتت ، ولم يبق منها إلا ذلك الدقيق من الغبار الذي لا يكاد يرى إلا في خيوط شعاع الشمس ، فجاء التشبيه لبيان الحال التي تكون عليها الجبال يوم القيامة ، فهذا المشهد العظيم صُور في أعظم صورة تشبيهيه.

وقد جاء في سورة الفرقان في قوله تعالى: وَقَدِمْنا إِلى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْناهُ هَباءً مَنْثُورا (٢٣). (فَذَكَرَ هَذَا الْوَصْفَ لِلْإِشَارَةِ إِلَى مَا فِي الْهَبَاءِ مِنَ الْحَقَارَةِ وَمن التَّفَرُّق)[2] .

(١) التحرير والتنوير ٢٨٤،٢٧.

(٢) التحرير والتنوير ج١٩ص ٨.

فقد عدلت الآيات عن صفات الجبال الثابتة الجامدة وما فيها من صلابة وعظمة واضحة للجميع ، وحلت محلها صفات الهباء المنبث غير الظاهر والحقير والمتفرق ، وتحضر بالذهن صورة الجبال وقد سحقت وصارت ترابا حقيرا ذراته تتناثر في الهواء وغير ظاهرة ، لتكون أشد تأثيرا في نفس المتلقي ، وكيف أن الجبال التي هي رمز الشموخ والعظمة والقوة والصلابة صارت هكذا ، وتبعث في نفس القارئ تساؤل ، كيف يكون حال الإنسان الضعيف الذي لا يقوى على شيء، إذا كانت الجبال تصبح بهذه الصورة ؟ فالتشبيه أبلغ من التعبير الصريح ، فهو جزء من تكوين الصورة المرسومة في ذهن المتلقي.

ويمكن أن يقال أن في هذ التشبيه عدولا بصورة أخرى ، فهذا تشبيه بليغ محذوف منه الآداة ووجه الشبه ، فعدل السياق عن ذكر بعض العناصر الأساسية للتشبية (آداة التشبية – وجه الشبه) إلى ذكر ركنين فقط وهما المشبه والمشبه به – المشبه هو الضمير المستتر في (بست) الراجع إلى الجبال تقديره "هي" – للمبالغة في التشبية وتأكيد واستحضار صورة المشبه به كاملة في ذهن القارىء وإثباتها للمشبه ، كأنهما شيءً واحداً، وتحقيق تمام المماثلة بين الطرفين المشبه والمشبه به.

ومثله قوله تعالى :(وَحُورٌ عِينٌ (22) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ(23) وَالْحُورُ الْعِينُ :النِّسَاءُ ذَوَاتُ الْحَوَرِ ٠٠٠٠واللُّؤْلُؤِ :الدُّرُّ ٠٠٠والْمَكْنُونِ :الْمَخْزُونُ

الْمُخَبَّأُ لِنَفَاسَتِهِ. (١)

فقد شبه القرآن الكريم الحور العين التي وعد الله بها المؤمنين باللؤلؤ المكنون في الصفاء والنقاء والهدوء والصيانة ، ولك أن تتأمل أيها القارئ كيف كان اللفظ القرآني في مكانه لا يعدله لفظ آخر ، فلا توجد لفظة تصلح أن تحل محل كلمة " اللؤلؤ " ولا كلمة "المكنون "ولا تؤدي معناهما وتصور ما صورتهما، فليس ذلك من مقدور البشر ، وكذلك الترابط بين لفظ اللؤلؤ ولفظ المكنون ، لأن من طبيعة الأشياء الغالية النفيسة أن تصان في أماكن خاصة بها لا تصل إليها أيادي العابثين ولا السارقين، وهكذا الحور العين قد صانهم الله سبحانه وتعالي عن أعين وأيادي الناظرين فلا يراهن أحد غير أزواجهن ، ولا أحد يستطيع أن يسرق نقاءهن بلمسهن وما إلى ذلك .

فحتى ينتقل إلى ذهن القارىء والسامع مدى النقاء والجمال والصفاء والحفظ في الحور العين عدل عن ذكر الصفات العادية لهن ، وحلت محلها صفات اللؤلؤ النقي الصافي الغالي الثمن ، والذي يمتلكه يحفظه في مكان لا يصل إليه أحد لقيمته العالية .

ويمكن أن يكون العدول حدث بالعدول عن ذكر العناصر الأربعة الأساسية للتشبيه إلى حذف أحد أركان التشبية وهو " وجه الشبه " الصفاء والنقاء والهدوء والصيانة ... وغيرها " ، حتى تتعمق النفس البشرية بداخلها لتبحث عن أوجه التشابة التي ربطت بين الحور العين واللؤلؤ ، فتذهب مذاهب شتى تلتقط ما يناسب حالتها في السياق التي تقال فيه ، وعدم حصر التشابه في شيء محدد فقط.

وقوله تعالى : فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (54) فَشارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ(55) الواقعة.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧،٢٩٢.

والهيم :جَمْعُ أَهْيَمَ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الَّذِي أَصَابَهُ الْهُيَامُ بِضَمِّ الْهَاءِ، وَهُوَ دَاءٌ يُصِيبُ الْإِبِلَ يُورِثُهَا حُمَّى فِي الْأَمْعَاءِ فَلَا تَزَالُ تَشْرَبُ وَلَا تُرْوَى، أَيْ شَارِبُونَ مِنَ الْحَمِيمِ شُرْبًا لَا يَنْقَطِعُ فَهُوَ مُسْتَمِرَّةُ آلامه،.... وَالْفَاءُ فِي "فَشارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ "عَطْفٌ عَلَى لَآكِلُونَ لِإِفَادَةِ تَعْقِيبِ أَكْلِ الزَّقُّومِ بِ شُرْبَ الْهِيمِ دُونَ فَتْرَةٍ وَلَا اسْتِرَاحَةٍ (١).

فقد صور للمتلقي صورة واضحة كمال الوضوح لما عليه حال أهل الشمال من سوء منقلبهم وعذابهم فهم يأكلون الزقوم فلا يحدث شبع ولا تلذذ بالأكل لسوء طعمه ، ثم مباشرة يريدون أن يشربوا لعطشهم الشديد ولكن شربهم هذا يشبه شرب الناقة المصابة بمرض الهيام فهي تشرب ولا ترتوي ، وهم كذلك لا يكفوا عن الشرب ولكن بلا فائدة لعدم حصول المقصود وهو الشعور بالارتواء، فشربهم للحميم يماثل ويشبه شرب الهيم بلا لذة ولا منفعة بل هناك ألم موجود .

وهكذا عدل السياق القرآني عن " شرب "أهل الشمال و صفتها الحقيقية ، لتحل محلها في الأذهان صفة شرب الجمال المريضة وقبح حالها ، وتحضر في الخاطر كذلك هيئة النهم الشديدالمصاحبة للعطش الشديد في محاولة لسد العطش ولكن أنى ذلك ؟

ويمكن أن يكون العدول كذلك هنا ، لكون هذا التشبيه بليغا حُذف منه الوجه والآداة ، فقد تم العدول عن الأصل الذي هو ذكر أركان التشبيه الأساسية ، إلى حذف ركنين " الآداة ووجه الشبه "، للمبالغة في دعوى التشابه لتنتقل لدعوى الاتحاد بين الشربين " شرب أهل الشمال و شرب الهيم " وبذا تتأكد وتستحضر صورة شرب الهيم وما فيها من قبح و نهم وعدم شبع ولا إرتواء ، وتثبت لشرب أهل الشمال .

(١) التحرير والتنوير ٢٧/٣١١،٣١٠.

وهكذا جاءت التشبيهات متسقة مع الغرض الذي سيقت من أجله ، مع الدقة في الألفاظ و الأساليب ، وهذا هو شأن الأسلوب القرآني فلا نجد لفظة يمكن أن تستبدلها بغيرها ، ولا يصلح مكانها غيرها، وظهرت قدرة التشبيه على إيصال المعنى بأسلوب رائع ومميز ، ونجح في دمج نفس القارئ مع الصورة الموجودة في النص والتفاعل معه ، إذ إنه بني على أسلوب العدول بما له من متعة رائقة تطرب لها الآذان ، وقدرة على آداء المعنى كما آراده القائل . عز وجل . .

المبحث الثاني

العدول البياني المجازي (المجاز المرسل والاستعارة)

في سورة الواقعة

وهو الانتقال من المعنى الأساسي المعجمي للفظة إلى المعنى السياقي الذي تأخذه الكلمة حينما توضع في سياق يحدد معنى الجملة بأكملها ، وبذا تختفي الدوال عن مدلولاتها الأصلية المألوفة المعروفة لتأتي دلالة جديدة غير معهودة ويقصدها المتكلم .

ويدور المجاز في اللغة حول معنى الانتقال من مكان إلى آخر ، فهو مأخوذ من جاز الطريق أو الموضع جوزا ومجازا وجوازا إذا سار فيه وسلكه ، وأجازه بمعنى تعداه وقطعه إلى غيره [١] ، وهذا المعنى اللغوي لا يختلف كثيرا عن المعنى الاصطلاحي البلاغي ، لاشتراك المعنيين في الدلالة على التحول والانتقال، باعتبار " الحقيقة " أصلا والمجاز خروج وانتقال عن ذلك الأصل.

وعبدالقاهر الجرجاني(ت ٤٧١ هـ)استخدم لفظ العدول كثيرًا، ورَبَط بينه وبين مصطلح المجاز: (المجاز مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جازه مكانه الذي وضع فيه أولا)[٢].

(١) لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠١ ، مادة " جوز".

(٢) أ أسرار البلاغة عبد القاهر الجرجاني، حمود شاكر أبو فهر مكتبة الخانجي ،ط ١ ١٩٩١م ١٩٩١م ،ص ٣٦٥هـ.

ويقول عبدالقاهر :".....المجاز يفيد أن تجوز بالكلمة موضعها في أصل الوضع وتنقلها عن دلالة إلى دلالة أو ما قارب ذلك "[١] ، فمثلا إذا قيل " هو أسد "تجوز في معنى اللفظ لا اللفظ [٢].فالمجاز يضم دلالتين ، النظام الدلالي الأول " الدلالة التقريرية الأولى المفهومة من المعنى المعجمي للألفاظ في العبارة ، والنظام الدلالي الثاني المعروف ب " معنى المعنى " ، وهو ما نسميه الدلالة الإيحائية الإضافية التي تفهم من المعنى الظاهر المفهوم من الألفاظ ، والدلالات الإيحائية يصل إليها الذهن بالتأمل والتلقي ، فالمجاز يعمل على منح الألفاظ طاقات متجددة إضافة إلى معناها المعجمي بأقل قدرمن الألفاظ ، يقول عبدالقاهر: (.... فاللغة المجازية تبرز الكلام في صورة مستجدة ، وتعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر ، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر .....". [٣]

ويقول ابن الأثير عن المجاز : (فإن كان لا مزية لمعناه في حمله عن طريق المجاز فلا ينبغي أن يعمل إلا على طريق الحقيقة ... وهكذا كل ما يجئ من الكلام الجاري هذا المجرى فإنه إن لم يكن في المجاز زيادة فائدة لا يعدل إليه)[٤]، وبذلك يشير ابن الأثير إلى القيمة الفنية للعدول عن الحقيقة إلى المجاز ، وهو جعل الكلام مشوقا وممتعا فنيا ومؤثرا في نفس المتلقي ، وإلا فالتعبير بالحقيقة أولى .

(١) أسرار البلاغة ، ٣١٧، ٣١٨-.

(٢) دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص ٣٦٧.

(٣) أسرار البلاغي للجرجاني ، ص ٥٥ .

(٤) المثل الثائر ، ابن الأثير ، ج١، ص ٧٣.

ويقول ابن جني في الفرق بين الحقيقة والمجاز عنده :(وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت حقيقة البتة [١].

وحينما تحدث عبدالقاهر الجرجاني عن (المعنى ومعنى المعنى) ، قصد بالمعنى الأول الدلالة الحقيقية للفظة ، ومعنى المعنى ، الدلالة المجازية للفظة أو المراد والمقصود من وراء اللفظة، فمثلا حينما نقول :" شرب محمد " يلاحظ أن ألفاظ الجملة مستخدمة في دلالتها المعجمية ، وكذلك إسناد الشرب لـ محمد لا يراد منه غير هذا إلاسناد ، والمعنى متعارف عليه ظاهر لا يحتاج إلى إعمال فكر لفهم المقصود وإدراك العلاقات بين طرفي الجملة ، وبذا يكون الدال " اللفظ " والمدلول " المعنى " كلاهما مستعمل في حقيقته المرادة :

اللفظ ← المعنى ، أو يقال الدال ← المدلول عليه.

أما معنى المعنى : فهو المعنى المجازي الاستعاري والمرسل ، فالألفاظ لها دلالات جديدة غير الدلالة الظاهرة ، وهي دلالات تحتاج إلى إعمال الذهن والعقل لإدراكها عن طريق الاستدلال بالمعنى الظاهر، وهذا ما قاله شيخ البلاغة عبدالقاهر في دلائل الإعجاز " أن تعقل من اللفظ معنى ، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر "(٢) ، ويمكن عرض ذلك بالصورة التالية:

---

١ – يراجع.الخصائص لابن جني ، ج٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١، ص ٤٤٢، ٤٤٣.

٢– دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق / محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣ ، ص ٢٦٣

اللفظ ← المعنى " المعجمي " ← معنى المعنى "المفهوم من المعنى المعجمي" ، ويمكن التعبير عنه بـ الدال وهو "اللفظ " ← المدلول الأول "المعنى" ← المدلول الثاني "معنى المعنى " .

وهذا يعنى أن العدول الدلالي لا بد فيه من استبدال المعنى الحقيقي أو القريب للفظة بالمعنى المجازي العميق ، وهذا الانتقال لا يكون صحيحا إلا في حالة عدم اختلاف المعنيين من جهة العموم والخصوص ، مثل الانتقال من المحل إلى الحال ومن السبب إلى المسبب وغير ذلك من علاقات المجاز المرسل.

ولذا فما قاله الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نظريته " معنى المعنى " هو نفسه العدول ، والعدول يقوم على الاستدلال من المعنى الأول على المعنى الثاني ، فالمعنى الأول "الغير مراد" هنا يستخدم كإشارة أو توليدا للمعنى الثاني "المراد"، وبذا يكون لدينا المعنى الأول المفهوم من الكلام المباشر وهو " المعدول عنه " والمعنى الثاني المدلول عليه " االمعدول إليه " ، ولا بد أن تكون بينهما علاقة مشتركة يعتمد عليها المتلقي لينتقل للمعنى الثاني ،أو نقول بطريقة أخرى أن اللفظ (الدال) يدل على المعنى ، و المعنى الأول (المدلول الأول) يدل على المعنى الثاني (المدلول الثاني) وهو مفهوم من المعنى الأول ، والصفة التي حصلت هي الدلالة ، وذلك يتم لوجود علاقة بين المعنى الأول والثاني.

ودلالة الألفاظ على معانيها متنوعة ، بين دلالة مطابقة : وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الموضوع له في اللغة "الدلالة الوضعية "، ودلالة تضمنية: وهو دلالة اللفظ على جزء من معناه الموضوع له كدلالة الأصابع على الأنامل ، ودلالة التزام: وهو أن يراد من اللفظ لازم معناه ، كدلالة لفظ الأسد على الرجل الشجاع وهوتلازم ذهني إذا يلزم من حصول صورة الدال حصول معنى المدلول عليه ، والبلاغيون يعتمدون على الدلالاتين (الالتزام والتضمُّن) في علم البيان ، وهي

القدرة على إيراد المعنى بصورة مختلفة في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى[١].

وكذلك نفهم من كلام عبد القاهر الجرجاني (المعنى ومعنى المعنى) علاقة علم البلاغة بعلم الدلالة ، فمن يدرس علم الدلالة لا يستطيع أن يغفل عن الألوان البلاغية باعتبارها العوامل المؤدية لتبدلات المعنى ، ومن يعالج هذه الألوان البلاغية لا بد أن يتعامل معها من خلال منظور علم الدلالة ، فلا غنى للعلمين عن بعضهما . فعلم الدلالة يختص بدراسة معاني الكلمات والتغيرات التي تطرأ على المعنى ، وكانت أحد الأسباب التي أوجدت نوعا من العلاقة بين علم الدلالة على هذا النحو ، وعلم البيان البلاغي حيث إنه قائم أيضا على تبدلات المعنى وتغيره ، فالقاسم المشترك بين العلمين هو " التبدل أو التغيّر الدلالي"[٢]

لقد أضحى المجاز في الدراسات اللغوية مركز تحليل للكثير من النظريات ، فثبت علميا أنه خاصية أصلية من خصائص اللغات الإنسانية باعتباره مصدرا من مصادر التوسع في المعنى ، وقدرة اللغة على امتصاص المفاهيم الجديدة .

فالمجاز من أقدر الأساليب البيانية على تجنب الرتابة وإبعاد الملل والضجر عن المتلقي قارئا أم سامعا على السواء ، لما له من هذه القدرة الانزياحية التجاوزية عن الدلالة الأولى المألوفة إلى الدلالة الثانية الإيحائية .

والعدول البياني المجازي ينقسم إلى قسمين ، مجازمرسل (إذا كانت العلاقة غير المشابهة)، ومجاز استعاري(إذا كانت العلاقة المشابهة).

---

(١) يراجع ، البيان " دراسة في الانزياح الدلالي " ، د. عزة محمد جدوع ، مكتبة المتنبي ، ط٣ ، ١٤٣٨هـ – ٢٠١٧مـ

(٢) العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مكتبة الإشعاع الفنية ، مصر ، الإسكندرية ، ط ١ ١٩٩٩، ص ٢٠ ويراجع ص ٧ و١٩.

وللمجاز المرسل العديد من العلاقات (السببية والمسببية والحالية والمحلية والكلية والجزئية ...إلخ وقد درست من الناحية البلاغية ، ولكن هنا سنحاول دراسة المجاز المرسل كظاهرة فنية من ظواهر العدول.

وقد جاء العدول المجازي (المجاز مرسل) الوارد في سورة الواقعة .. كقوله تعالى:(وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ(34) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (36) عُرُباً أَتْراباً (37) لِأَصْحابِ الْيَمِينِ(38) الواقعة.

الفرش: جمع فِراش ، وهو ما يفرش ، ومرفوعة ، وصف للفراش ، أي مفروشه على الأسرة ليست مفروشة على الأرض، ويجوز أن يراد بالفرش الأسرة من تسمية الشيء باسم ما يحل فيه [1] مجازا مرسلا وعلاقتة الحالية ، وهي عبارة عن إطلاق اسم الحال في المكان على محله ، وفي الآية عبر بلفظ " الفرش " وهي حالة ، وأراد " الأسرة" وهي المحل ، وهكذا فإن العدول حدث للفظة " الأسرة " التي حلت محلها لفظة " فرش " تسمية للشيء باسم الحال فيه ، ويمكن التوضيح في الشكل التالي :

الدال ← المدلول الأول ←

المدلول الثاني

" فرش" ← المعنى المعجمي الحقيقي للكلمة ←

المعنى المجازي" الأسرة "

والذي جعل المعنى مؤثرا في النفس العلاقة التي تربط بين الدلالتين الحقيقية والمجازية للفظة ، فهي التي تسوغ الاستعمال ، ولذلك يشترط فيها أن لا تكون واضحة وضوحا تاما بحيث لا تحتاج إلى تأمل وتدبر، وفي الوقت نفسه لا تكون مبهمة بعيدة ، وذلك لأن وضوحها التام وانكشافها الكامل يفقد العدول

(١) يراجع التحرير والتنوير ٣٠٠/١١

عنصر تأثيره ، حيث إنه يكون عندئذ مبتذلا ، لا تحس النفس معه بلذة الانتقال من الدلالة الأولى إلى الدلالة الثانية .

ولمعنى الفرش وجه آخر سيذكر بعد في الكناية .

العدول المجازي (الاستعاري) الوارد في سورة الواقعة:

الاستعارة مأخوذة من العارية ، واستعاره منه طلب منه أن يعيره إياه ، واعتوروا الشيء وتعوروه وتعاوروه : تداولوه فيما بينهم [١] ، والاستعارة نقل الشيء من شخص إلى آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه [٢] ومن ذلك يفهم أن عملية الاستعارة لا تتم إلا بين متعارفين تجمع بينهما صلة ما تسمح بهذه الاستعارة ، يقول العلوي في توضيح ذلك :"وإنما لُقِّب هذا النوع من المجاز بالاستعارة أخذاً لها من الاستعارة الحقيقية ، لأن الواحد منا يستعير من غيره رداءً ليلبسه ، ومثل هذا لا يقع إلا من شخصين بينهما معرفة ومعاملة فتقتضي تلك المعرفة استعارة أحدهما من الآخر من أجل الانقطاع ، وهذا الحكم جار في الاستعارة المجازية ، فإنك لا تستعير أحد اللفظين للآخر إلا بواسطة التعارف المعنوي ، كما أن أحد الشخصين لا يستعير من الآخر إلا بواسطة المعرفة بينهما "[٣].

وإذا انتقلنا للمفهوم الاصطلاحي ل"الاستعارة " فلقد نالت اهتمام البلاغيين على مر العصور مع اختلاف ثقافاتهم ، فيقول أبو هلال العسكري"٣٩٥ هـ " في

---

(١) انظر ، لسان العرب ، ابن منظور ، مادة "عور".

(٢) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، أحمد مطلوب ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، (د .ط) ،١٩٨٣، ١/١٣٦.

(٣) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى الحسيني العلويّ ، المكتبة العنصرية – بيروت ،ط١، ١٤٢٣هـ ،١/٩٨.

تعريفها : (نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض) [١] ، وبذا يكون متفقا مع من قبله في اعتماد الاستعارة على فكرة "النقل" ، حتى جاء عبدالقاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) ، وركز على فكرة " المشابهة " عندماعرف الاستعارة بقوله: (الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه) [٢] ، وبذا يكون عبد القاهر أكثر عمقا من سابقيه حيث جعل الاستعارة ضربا من المجاز القائم على التشبيه المحذوف أحد طرفيه ، ثم جاء السكاكي "٦٢٦هـ" وعرف الاستعارة تعريفا دقيقا بقوله :(هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر ، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به ، دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به)[٣].

وكما هو واضح فمؤدى هذه التعريفات يكاد يكون واحدا ، فالاستعارة قائمة على استبدال لفظ بلفظ أو شيء بشيء لعلاقة بينهما وهي علاقة المشابهة والاستعارة الحديثة اعتمدت على هذه التعريفات في نظريتها (النظرية الاستبدالية) التي ترى أن الاستعارة ما هي إلا علاقة لغوية تقوم على المقارنة ، شأنها في ذلك شأن التشبيه ، ولكنها تختلف عنه بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة ، أي أن المعنى لا يقدم بطريقة مباشرة ، بل يقارن ويستبدل بغيره على أساس التشابه ، فإذا كان في التشبيه الطرفان يجتمعان

(١) الصناعتين "الكتابة والشعر" أبو هلال العسكري ، تحقيق : مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٢ ،١٩٨٤م ، ص ٢٩٥.

(٢) كتاب دلائل الإعجاز ، الجرجاني ، ص ٦٧.

(٣) مفتاح العلوم ، أبو يعقوب محمد بن على السكاكي ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص ٥٩٩.

معا ، ففي الاستعارة نجد طرفا واحدا يحل محل طرف آخر ويقوم مقامه ، لعلاقة اشتراك شبيهة بتلك التي يقوم عليها التشبيه [١].

والاستعارة لا تتعلق إلا بكلمة معجمية واحدة ، بغض النظر عن السياق الواردة فيه ، بمعنى أن يكون للكلمة معنيان ، معنى حقيقي ، ومعنى مجازي ، وتحدث الاستعارة باستبدال المعنى المجازي بالمعنى الحقيقي

والحقيقة أن النقاد العرب والغرب على السواء اهتموا بالاستعارة ، حتى أن النقاد الغرب منذ أرسطو وحتى الوقت الحاضر ينظرون للاستعارة نظرة خاصة ، حتى أنها اكتسبت لقب " ملكة الصور البيانية "[٢]، لما لاحظوه من الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي ، ومن دلالتها على الابداع الفني ، وعدم اقتصارها على مجرد نقل كلمة من معنى إلى معنى ، فهي ليست بنية سطحية ، بل هي عملية ذهنية ونفسية معقدة ، لأننا لو نقلنا لفظ "الأسد" من معناه الحقيقي إلى معنى الرجل الشجاع ، لصار معنى " رأيت أسدا ، نفس معنى " رأيت رجلا شجاعا" ، وبذا تفقد الاستعارة قوتها ، فقوتها تكمن في إدعاء أن الرجل من جنس الأسد حقيقة ، وله طبيعته وصفاته ، وبهذا تكون الاستعارةُ عند البلاغيِّين والنقَّاد أداةً من أدوات التوسُّع الذي يُمكِّن المبدع مِن كسْر قواعد اللغة، ومنحها مجالاتٍ أوسع للتعبير عمَّا يشعر به.

وسنحاول إبراز أثر العدول الاستعاري النفسي والجمالي من خلال نماذج من التعبير القرآني من سورة الواقعة ، في محاولة لاظهار عدول التعبير القرآني

(١) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ط١ ، ١٩٩٧م ، ص٧ ، ٥٣، ٥٤.

(٢) ينظر التحليل الدلالي للصور البيانية عند " ميشال لو غوارن " بسام بركة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع ٤٨-٤٩،١٩٨٨م، ص ٢٥.

عن دلالات الألفاظ المألوفة أو الشفافة التي تسمح للمتلقي باختراقها سريعا إلى نتاجها الدلالي إلى تلك الدلالات العميقة التي لا يسهل اختراقها والوصول إلى نتاجها الدلالي إلا بعد تأمل وتفكر في السياقات الواردة فيها هذه الألفاظ.

يقول سبحانه وتعالى :" إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1)لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) الواقعة " (وَالْمَعْنَى: إِذَا وَقَعَتِ الْقِيَامَةُ تَحَقَّقَ مُنْكِرُوهَا ذَلِكَ فَأَقْلَعُوا عَنِ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّهَا لَا تَقَعُ وَعَلِمُوا أَنَّهُمْ ضَلُّوا فِي اسْتِدْلَالِهِمْ وَهَذَا وَعِيدٌ بِتَحْذِيرِ الْمُنْكِرِينَ لِلْقِيَامَةِ مِنْ خِزْيِ الْخَيْبَةِ وَسَفَاهَةِ الرَّأْيِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَشْرِ)[1].

(ليس لوقعتها " نفس كاذبة بمعنى لا ينكر وقوعها أحد ولا يقول للساعة لم تكوني لأن الكون قد تحقق ... ويجوز كون "كاذبة" من قولهم كذبت نفسه وكذبته إذا منته الأماني وقربت له الأمور البعيدة وشجعته على مباشرة الخطب العظيم .... ويجوز أيضا كون " كاذبة "مصدرا بمعنى التكذيب وهو التثبيط وأمر اللام ظاهر أي ليس لوقعتها ارتداد ورجعة كالجملة الصادقة من ذي سطوة قاهرة . .. ويجوز جعل الكاذبة بمعنى الكذب على معنى ليس للوقعة كذب بل هي وقعة صادقة لا تطاق...على معنى ليس هي في وقت وقوعها كذب ، لأنه حق لا شبهة فيه)[2].

وقال بن عاشور :(إِطْلَاق وصف الْكَذِب اسْتِعَارَةٌ بِتَشْبِيهِ السَّبَبِ لِلْفِعْلِ غَيْرِ الْمُثْمِرِ بِالْمُخْبِرِ بِحَدِيثِ كَذِبٍ أَوْ تَشْبِيهِ التَّسَبُّبِ بِالْقَوْلِ قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ: الْكَذِبُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَوْلِ فَكَمَا جَازَ أَنْ يَتَّسِعَ فِي الْقَوْلِ فِي غَيْرِ نُطْقٍ جَازَ فِي الْكَذِبِ أَنْ يُجْعَلَ فِي غَيْرِ نُطْقٍ)[3].

---

(١) التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، ٢٨٢/٢٧.

(٢) روح المعاني – تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – للألوسي _دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤/، ١٢٩،١٣٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٨٢،٢٨٣/٢٧.

فهناك لفظ دال ← المدلول الأول ← المدلول الثاني
"كاذبة" ← المخبر بحديث كذب ← الفعل غير المثمر

ونلاحظ العلاقة التي سوغت العدول عن المدلول الأول الحقيقي للفظ " كاذبة " إلى المدلول الثاني المجازي وهو" الفعل الغير مثمر" هي علاقة المشابهة ، فكلاهما لا طائل خير متوقف عليهما، وهذا وعيد، و تحذير المنكرين للقيامة من خزي الخيبة وسفاهة الرأي بين أهل الحشر.

وجاء العدول البياني الاستعاري في قوله تعالى : (فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (٨) وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ مَا أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ (٩) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) الواقعة .

(أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَهُمُ الَّذِينَ يُجْعَلُونَ فِي الْجِهَةِ الْيُمْنَى فِي الْجَنَّةِ أَوْ فِي الْمَحْشَرِ. وَالْيَمِينُ جِهَةُ عِنَايَةٍ وَكَرَامَةٍ فِي الْعُرْفِ، وَاشْتُقَّتْ مِنَ الْيُمْنِ، أَيِ الْبَرَكَةِ. و أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ، وَهِيَ اسْمُ جِهَةٍ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الشُّؤْمِ، وَهُوَ ضِدُّ الْيُمْنِ فَهُوَ الضُّرُّ وَعَدَمُ النَّفْعِ ،وَقد سميا فِي الْآيَةِ الْآتِيَةِ أَصْحابُ الْيَمِينِ ،وأَصْحابُ الشِّمالِ ، فَجُعِلَ الشَّمَالُ ضِدَّ الْيَمِينِ كَمَا جُعِلَ الْمَشْأَمَةُ هُنَا ضِدَّ الْمَيْمَنَةِ إِشْعَارًا بِأَنَّ حَالَهُمْ حَالُ شُؤْمٍ وَسُوءٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُسْتَعَارٌ لِمَا عُرِفَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ إِطْلَاقِ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى الْكِنَائِيِّ الَّذِي شَاعَ حَتَّى سَاوَى الصَّرِيحَ، وَأَصْلُهُ جَاءَ مِنَ مُرُورِ الطَّيْرِ أَوِ الْوَحْشِ مِنْ يَمِينِ الزَّاجِرِ إِلَى يَسَارِهِ وَيَتَوَقَّعُونَ الشَّرَّ مِنْ مُرُورِهِ بِعَكْسِ ذَلِكَ)[١].

(قيل :أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية، وأصحاب المشأمة أصحاب المنزلة الدنية أخذا من تيمنهم بالميامن وتشؤمهم بالشمائل كما تسمع في السانح والبارح، وهو مجاز شائع)[٢].

(١) يراجع التحرير والتنوير ج ٢٨٦,٢٨٥/٢٧.

(٢) روح المعاني ، ١٣١/١٤.

فكأنه شبه حالة أهل الجنة " وأنها حالة خير " بمن يكون آتيا من جهة اليمين كما هو مشهور عند العرب بحسنها وتفاؤلهم بها ، وشبه حالة أهل النار " وأنها حالة سيئة وقبيحة " بحالة من يكون آتيا من جهة الشمال ، كما هو مشهور عند العرب بتشاؤمهم منها.

(وَلِذَلِكَ اسْتُغْنِيَ هُنَا عَنِ الْإِخْبَارِ عَنْ كِلَا الْفَرِيقَيْنِ بِخَبَرٍ فِيهِ وَصْفُ بَعْضِ حَالَيْهِمَا بِذِكْرِ مَا هُوَ إِجْمَالٌ لِحَالَيْهِمَا مِمَّا يَشْعُرُ بِهِ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ مِنْ لَفْظَيِ الْمَيْمَنَةِ وَالْمَشْأَمَةِ بِطَرِيقَةِ الْاِسْتِفْهَامِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ الْفَرِيقَيْنِ فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقَاوَةِ، وَهُوَ تَعْجِيبٌ تُرِكَ عَلَى إِبْهَامِهِ هُنَا لِتَذْهَبَ نَفْسُ السَّامِعِ كُلَّ مَذْهَبٍ مُمْكِنٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ)[1].

و تكون صورة العدول عن المعنى الحقيقي للفظ إلى المعنى المجازي له ، بهذه الصورة ..

اللفظ الدال ← المدلول الأول"المعني المعجمي لهما ← المدلول الثاني الميمنة والمشئمة ← جهة اليمين وجهة الشمال ← المستعار لهما حالة أهل الجنة وحالة أهل النار.

وبهذا نجد أن حالة أصحاب الجنة في غاية الحسن والأريحية ، وحالة أهل النار في غاية السوء ، فقام العدول بدوره في نقل الصورتين في أكمل صورة إيحائية لا يقوم مقامها التعبير بالمعنى الحقيقي، وكذلك لوحظ استخدام القرآن الكريم لهذا التعبير مراعاة للكلام المستخدم المشهور عند العرب ، وهكذا القرآن الكريم .

*وقوله تعالى : (والسابقونَ السَّابِقُونَ) هَذَا الصِّنْفُ الثَّالِثُ فِي الْعَدِّ وَهُمُ الصِّنْفُ الْأَفْضَلُ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ، وَوَصْفُهُمْ بِالسَّبْقِ يَقْتَضِي أَنَّهُمْ سَابِقُونَ

(١) التحرير والتنوير ،٢٨٦/٢٧

أَمْثَالُهُمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ عَبَّرَ عَنْهُمْ بِأَصْحَابِ الْمَيْمَنَةِ فَهُمْ سَابِقُونَ إِلَى الْخَيْرِ، فَالنَّاسُ لَا يَتَسَابَقُونَ إِلَّا لِنَوَالِ نَفِيسٍ مَرْغُوبٍ لِكُلِّ النَّاسِ، وحقيقة السبق وُصُولُ أَحَدٍ مَكَانًا قَبْلَ وُصُولِ أَحَدٍ آخَرَ. وَهُوَ هُنَا مُسْتَعْمَلٌ عَلَى سَبِيلِ الْاِسْتِعَارَةِ : " فجاءت الاستعارة لتجمع بين معنيين وهما المبادرة والإسراع إلى عمل الخير في الدين ، وإما في المغالبة في تحصيل الخير "[1]

فاللفظ الدال ← المدلول الأول ← المدلول الثاني

"السابقون " ← وصول أحد مكانا قبل الآخر ← المبادرة والإسراع إلى عمل الخير

فقد تم العدول من دلالة لفظ (السبق) الحقيقية التي هي " وصول أحدا مكان آخر في السباق " إلى المعنى الثاني " وهو المبادرة والإسراع إلى عمل الخير " ، لأن هذه الفرقة التي تبادر إلى عمل الخير تتفاوت فمنهم السابق ومنهم اللاحق ومنهم المتأخر ، ولكل فضل على الآخر في الثواب وهذا يصوره اللفظ الدال على التسابق ، والنص القرآني يستحضر هيئة التسابق في عمل الخير حتى ينتقل للذهن التفاوت والتفاضل في الثواب والمكافأة على أعمال الخير، كما يحدث ذلك بين المتسابقين في حلبة السباق ولكل درجة مختلفة عن الآخر حسب القرب أو البعد من الكمال ، والعدول الاستعاري نقل صورة إيحائية كاملة في حالة حسية ملموسة وفي غاية الايجاز لا يقوم مقامه التعبير بالمعنى الحقيقي .

* وقوله تعالى :(لَوْ نَشاءُ لَجَعَلْناهُ حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ) وَالْحُطَامُ :الشَّيْءُ الَّذِي حَطَّمَهُ حَاطِمٌ، أَيْ كَسَّرَهُ وَدَقَّهُ فَهُوَ بِمَعْنَى الْمَحْطُومِ،كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ زِنَةُ فُعَالٍ مثل الفتات والجذاذ وَالدُّقَاقِ،. وَالْمَعْنَى :لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مَا يَنْبُتُ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْأَرْضِ حُطَامًا بِأَنْ نُسَلِّطَ عَلَيْهِ مَا يُحَطِّمُهُ مِنْ بَرَدٍ أَوْ رِيحٍ أَوْ حَشَرَاتٍ قَبْلَ أَنْ تَنْتَفِعُوا بِهِ.[2]

(١) التحرير والتنوير ،٢٨٧/٢٧،٢٨٦.

(٢) يراجع التحرير والتنوير ٣٢٢/٢٧

وبهذا تكون الاستعارة المكنية في قوله :(لجعلناه حطاما) حيث شبه تعالى الزرع التالف بعد اكتمال نضوجه ، ببناء يدك ويحطم ويفتت بقدرته سبحانه وتعالى ، فلا ينتفع بأي منهما ، فهناك علاقة بين الصورتين سوغت العدول من الصورة الأولى للثانية ، فالزرع المحطم لا طائل منه ولا منفعة من أجزاءه المفتتة ، مثل البناء الذي يحطم لا ينتفع به البتة .

الدال ← المدلول الأول ← المدلول الثاني

"حطاما" ← البناء المفتتة أجزاؤه ← إتلاف الزرع بعد اكتمال نضوجه

وبهذا العدول الاستعاري رسمت في الأذهان صورة ممتدة الأجزاء لهيئة بناء مرتفع قد وقع وفتت جميع أجزاؤه فأصبح لا طائل منه ولا يصلح للانتفاع ، وهذه الهيئة تستحضر في الذهن وتلصق بهيئة الزرع الذي اكتمل زرعه وآن الآوان للانتفاع به ، فإذا به يصير بلا فائدة تتناثر آجزاء ويفتت مثل البناء المحطم ، وللقارئ أن يتخيل كيف تم استحضار الصورة وكيف تم الإيجاز للحالة بصورة أبلغ ما يكون ، وكيف تكون الحسرة في القلوب ، فبدلا من الانتفاع يصيرفلا فائدة .

* قال تعالى: فَلَوْلا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ(83) الواقعة ،(هَذَا اسْتِدْلَالٌ بِمُقْتَضَى الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي حَالَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ إِيدَاعَ الْأَرْوَاحِ فِي الْأَجْسَادِ تَصَرُّفٌ مِنْ تَصَرُّفِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهُوَ الْحَكِيمُ، فَمَا نَزَعَ الْأَرْوَاحَ مِنَ الْأَجْسَادِ بَعْدَ أَنْ أَوْدَعَهَا فِيهَا مُدَّةً إِلَّا لِأَنَّ انْتِزَاعَهَا مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ أَنْ تُنْتَزَعَ، وَانْحَصَرَ ذَلِكَ فِي أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهَا الْحِسَابُ عَلَى مَا اكْتَسَبَتْهُ فِي مُدَّةِ الْحَيَاةِ الدنيا[1]

ففي الآية استعارة مكنية ، بتشبيه الروح بشي حسي مادي مجسم يبلغ الحلقوم بحركة محسوسة بعد جهد في السعي، وهذا هو سر جمال الاستعارة .

١ – التحرير والتنوير ٢٧ /٣٤٣

وللمتلقي أن يتخيل صعوبة وصول الروح للحلقوم ومكابدتها للمشقة ، وكأنها شيء مادي محسوس يحاول الوصول لهدف ما ، ويلاقي من المشقة ما يلاقي حتى يصل ، فيرتسم في الأذهان هول الموقف ، فترتدع عن فعل المحرمات، وهذا التأثر النفسي للمتلقي لم يكن يحدث لولا العدول عن الحقيقة إلى الاستعارة.

فجاء العدول البياني الاستعاري أكثره من الأمور المعقولة المعنوية إلى الأمور المحسوسة ، وذلك زيادة في تصوير المعنى وتمثيله للنفس ، وتقريب الصورة المتخيلة للمتلقي فتكون أشد تأثيرا ، فحدثت الأبلغية المقصودة من النص القرآني فترسخ المعنى في نفس المتلقي .

المبحث الثالث

العدول البياني (الكنائي) في سورةالواقعة

الكناية في معناها اللغوي تدل على الانتقال من لفظ إلى لفظ آخر يريده المتكلم ، جاء في لسان العرب " الكناية أن تتكلم بالشيء وتريد غيره ، وكنى عن الأمر بغيره يكني كناية : يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو الرفث ، والغائط ، ونحوه .....)[١].

والمعنى اللغوي يلتقي مع المعنى الاصطلاحي ، فالشيخ عبد القاهر يقول في تعريفه للكناية : (أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد ، يريدون طول القامة)[٢]، ويقول الخطيب القزويني في تعريفها : (هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ ، كقولك : فلان طويل النجاد ، أي طويل القامة وفلانة نؤوم الضحى ، من غير تأويل)[٣] .

والعدول في الكناية يكون عن معنى لفظة إلى معنى آخر ملازم له ، ولكن بدون استغناء عن المعنى الأول للفظة، لأن معناها الأصلي هو الدليل على المعنى الكنائي المقصود ، وكذلك لمعرفة مدى القرب أو البعد بين المعنى المكني به والمكني عنه ، وهذا يعنى أن كلا من المعنى الحقيقي والمعنى الكنائي مطروحان في جملة الكناية في ذهن المتلقي قبل التحليل ، والذي يحدد المعنى المقصود هو " المتلقي " ، (فالكناية بنية ثنائية الإنتاج ، حيث تكون في مواجهة إنتاج صياغي

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة " كنى " .

(٢) دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، ص ٦٦.

(٣) الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، ١٥٨،١٥٩/٥.

له إنتاج دلالي موازٍ له تماما بحكم المواضعة، لكن يتم تجاوزه بالنظر في المستوى العميق لحركة الذهن التي تمتلك قدرة الربط بين اللوازم والملزومات ، فإذا لم يتحقق هذا التجاوز ، فإن المنتج الصياغي يظل في دائرة الحقيقة .... وهو ما يؤكد وقوع الكناية في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز)[١].

فجملة الكناية واقعة في منطقة وسطى بين الحقيقة والمجاز ، كلا منهما يريد استقطابها ، ولكن لا يمكن الميل بها إلى الحقيقة حتى تستقل بها ، لأن صياغتها لم تنتج معناها فحسب ، بل منتجة ملازما لها ، كما لا يمكن الميل به إلى دائرة المجاز حتى يستقل بها ، لعدم وجود قرينة في الكلام تمنع من إرادة المعنى الحقيقي ، فالصراع مستمرا بين المعنى الحقيقي المعجمي للفظ ، والمعنى الكنائي الذي يرشحه السياق ، والذي يفصل في هذا الصراع " المتلقي " المخاطب سامعا أو قارئا فهو الذي يستطيع تحديد اتجاه الدلالة لجملة الكناية.

واللفظ في الكناية ليس بالواضح وضوح المذكور صراحة، ولا هو بالخفي الذي أخفي عن عمد وقصد ، فلا تكاد تبينه إلا بتدقيق وإمعان النظر.

إن الكناية تقوم على علاقة خاصة بين الدال والمدلول ، وفيها نوع من الخداع والمراوغة ، وبما أن الكناية خفية ، فإنها تقوم بشحذ فكر المتلقي ليرسم صورة ذهنية يمكن أن تتشكل نتيجة هذه المراوغة ،أو العدول عن التعبير المباشر وعليه يكون القبول مرهون في (كمية الصور الذهنية التي يستحضرها المتلقي

(١) البلاغة العربية قراءة أخرى ، عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية للنشر١٩٩٧م ط١، ص ١٨٧-١٨٨.

تباعا ، كأنها ومضات تتكلف وتتراكم لتشكل في النهاية معنى ثابتا يطمئن إليه العقل ويتأثر به القلب)[1].

وبذا تعد الكناية عدولا بيانيا ، بمعنى أنه ينتقل الذهن من المدلول الحقيقي للفظة إلى المدلول الكنائي ، لوجود علاقة بين المدلولين " الحقيقي والكنائي " ، وهي علاقة اللزوم أو التلازم ، بهذه الصورة.....

الدال ← المدلول الأول ← المدلول الثاني

↓ ↓ ↓

بنية الكناية"اللفظ" ← المعنى المعجمي " الحقيقي" ← المعنى الكنائي المراد

والمتلقي هو الوسيط بين الدلالتين ، وهو الذي يحدد أيهما هو المقصود حسب السياق .

وهذه الثنائية الدلالية ليست نتيجة للدلالة الوضعية للألفاظ وحدها ، ولكنها نتاج لإحالة الدلالة الوضعية للألفاظ إلى معان أخرى مرتبطة بالمعاني الحقيقية لها ، يقول السبكي :(لا يتخيل أن ذلك جمع بين حقيقة ومجاز ،أو حقيقتين ، لأن التعدد هنا ليس في إرادة الاستعمال، بل في إرادة الإفادة ، واللفظ لم يستعمل إلا في موضعه، وقد يستعمل اللفظ في معنى ، ويقصد به إفادة معان كثيرة)[2]. فالمثال السابق " فلان طويل النجاد "طول النجاد مستلزم طول القامة دون أن يمتنع طول النجاد على حقيقته ، وهذا يعنى حضور المعنى الأول والثاني في صياغة الكناية.

(١) علوم البلاغة ، محمد أحمد قاسم محي الدين ديب ، طرابلس، لبنان ، المؤسسة الحديثة للكتاب ٢٠٠٣، ص ٢٥١.

(٢) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي السبكي ، تحقيق: خليل إبراهيم ط ١ ٢٠٠١ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٤/ ٢٣٨.

فعملية الكناية تعتمد على حضور المعنى الحقيقي وغياب المعنى الكنائي ، أو حضور المعنى الكنائي وغياب المعنى الحقيقي ، من خلال تتابع الوسائط بين المكنى به والمكني عنه سواء قلت أم كثرت [١].

فهدف المبدعين والآدباء من وراء الكناية، والعدول بها عن التعبير الصريح المباشر عما يجول في الخاطر ، هو التأثير في نفس المتلقي وجعله يمعن في التفكير من أجل الوصول إلى المعنى الأصلي والمراد من وراء استخدام هذا النوع من العدول في التعبير.

إن بلاغة الكناية تكمن في قدرتها على تجسيم المعاني ووضعها في صورة حسية، تعجب المتلقي وتبهره، فبها يستطيع أن يرى ما يعجز عن رؤيته، ويتضح له ما خفى، وكذلك من أبرز خصائصها التعبير عما هو مستهجن وقبيح بما هو مألوف وجميل ، بالإضافة لإفادتها الإيجاز في التعبير[٢].

فجمال الصورة الفنية في كونها لا تعتمد على التعبير المباشر وإنما تعتمد على العدول عن ذلك بأساليب منها الكناية ، وهي بحاجة إلى فهم وحسن تدبر لمن يصوغها، والمتلقي يحتاج كذلك لإعمال العقل والفكر ، فتحدث اللذة الذهنية أكثر من التعبير باللفظ الصريح.

ولقد وردت الكناية في سورة الواقعة وكان لها دورها في إيضاح المعنى المراد من سياقها ، ومن أمثلتها :

* قوله تعالى :" عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥)مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ(١٦) الواقعة ، السُّرُرُ :جَمْعُ سَرِيرٍ، وَهُوَ كُرْسِيٌّ طَوِيلٌ مُتَّسِعٌ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الْمُتَّكِئُ

(١) يراجع دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة ، الأزهر الزناد، نشر المركز الثقافي العربي المغرب – ط١٩٩٢،١ ص ٨٧.

(٢) ينظر ، الكناية والتعريض، أبو منصور عبدالملك محمد الثعالبي ، ص ٤٥-٥٢.

وَالْمُضْطَجِعُ، لَهُ سُوقٌ أَرْبَعٌ مُرْتَفِعٌ عَلَى الْأَرْضِ بِنَحْوِ ذِرَاعٍ يُتَّخَذُ مِنْ مُخْتَلِفِ الْأَعْوَادِ وَيَتَّخِذُهُ الْمُلُوكُ مِنْ ذهب وَمن فضَّة وَمِنْ عَاجٍ وَمِنْ نَفِيسِ الْعُودِ كَالْأَبَنُوسِ وَيَتَّخِذُه الْعُظَمَاءُ الْمُتَرَفِّهُونَ مِنَ الْحَدِيدِ الصِّرْفِ وَمِنَ الْحَدِيدِ الْمُلَوَّنِ أَوِ الْمُزَيَّنِ بِالذَّهَبِ. وَالسَّرِيرُ مَجْلِسُ الْعُظَمَاءِ وَالْمُلُوكِ،.... والموضونة : يقصد الممسوك بعضها ببعض كما تسبك حلق الدروع وإنما توضن سطوحها وهي ما بين سوقها الأربع حيث تلقى عليها الزرابي للجلوس والاضطجاع ليكون ذلك المفرش وثيرا لا يؤلم المضطجع ولا الجالس ،.... والاتكاء عليها عبارة عن اضطجاع من تباعد أعلى الجنب مع الاعتماد على المرفق ،.... والتقابل من تمام النعيم لما فيه من الأنس بمشاهدة الأصحاب والحديث معهم). [1]

فهنا كناية عن النعيم الذي يجده أهل الجنة فيها ، إذ يلزم من جلوس المؤمنين على سرر موضونة من الذهب والفضة متقابلين مع أصدقائهم وأحبائهم ، تمام النعيم الذي يتنعمون فيه سواء أكان تنعم حسي أم معنوي ، حسي بجمال ما يرونه ، ومعنوي بشعور الفرح والسرور برؤية الأحبة والأصدقاء ، فانتقل من الملزوم إلى اللازم ، والقرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، وبذا تكون صورة العدول الكنائي بهذه الصورة ...

الدال ← المدلول الأول " المعنى المعجمي للألفاظ " ←-

المدلول الثاني "المعنى الكنائي"

↓ ↓ ↓

"على سرر موضونة ...ألخ" ← جلوس المؤمنين على السرر متقابلين مع أحبتهم ← "تنعم المؤمنين"

(١) يراجع التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، ١١/٢٩٣،٢٩٢

وبذا قام العدول الكنائي بدورة في تأكيد تنعم المؤمنين السابقين في الخيرات والأعمال الحسنة على غيرهم ، بإقامة الدليل على هذا الترف والتنعم ، وهو كونهم على الكراسي الموضونة بالذهب والمفروشة بالفرش اللينة ، متقابلين مع أحبتهم يتبادلون الأحاديث، وهذامن تمام النعيم، لأن النفس لا تنعم كمال النعيم إلا إذا اكتملت متطلباتها من الأريحية في المجلس ، ثم الفرحة والسرور برؤية الأحبة من الأهل والأصدقاء ، فيحصل السرور والفرح الداخلي الذي لا ينغصه نقص أو فقد ، ولذا فالمتلقي يستشعر جمال هذه الصورة واللذة الحاصلة من جراء ذلك ، فتحدث لديه الرغبة في عمل الخيرات لينال المتعة المترقبة من الله عز وجل جزاء أعمالهم.

* قال تعالى : وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧)فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨)وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩)وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠)وَمَاء مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢)لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ(٣٣) الواقعة.

وأصحاب اليمين هم الذين يأخذون كتابهم بأيمانهم ، ويلزم من ذلك النعيم والثواب ، فتكون منزلتهم حسنة ، فالآيات كناية عن منزلة أهل اليمين والجزاء الحسن الذي ينعمون به في الآخرة ، فوصف هيئة مجلسهم ومطعمهم ، فهم في ظل ممتد ومنبسط ، وماء جار غير منقطع ، وفاكهة دائمة غير منقطعة في أي فصل من الفصول وغير محجوبة عنهم ، كل ذلك يلزم منه كونهم في منزلة عالية ورفيعة القدر ثوابا لهم من عند المولى عز وجل .

وتحقق العدول الكنائي بالانتقال من الدلالة المعجمية الوضعية للألفاظ إلى الدلالة الكنائية المفهومة من السياق بعلاقة اللزوم أو التلازم بين المعنيين ، مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي للألفاظ ، ويكون بهذه الصورة.

"الدال" ← " المدلول الأول" المعنى المعجمي الوضعي لها ← "المدلول الثاني"المعنى الكنائي.

↓ ↓ ↓

نص الآيات ← هيئة المجلس والمطعم المذكورة بالآية ← منزلة أهل اليمين وتنعمهم.

حيث ينتقل الذهن من كون أهل اليمين بهذه الحالة من توفر المجلس الطيب في الظل الدائم والتلذذ بالفواكه الغير منقطعة وطيب المطعم ، ينتقل إلى كونهم في أعلى درجات النعيم والشعور بالفرح والسرور، وهذا باعث في نفس السامع والقارئ وحافز قوي لعمل الطاعات والبعد عن المنكرات حتى يكون مصيرهم ممن يأخذ كتابه بيمينه وما يترتب على ذلك من المنزلة الرفيعة العالية ، فالآية لها وقع نفسي قوي لدى المتلقي ، الذي يبحر في عالم من التخيلات ليستحضر لذة وجمال ما أعده الله سبحانه وتعالى للمؤمنين العاملين.

*قال تعالى :(وفرش مرفوعة (٣٤) إنا أنشأنهن إنشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا (٣٦) عربا أترابا (٣٧) لأصحاب اليمين (٣٨)الواقعة.

الفرش: جمع فِراش ، وهو ما يفرش ، ومرفوعة ، وصف للفراش ، أي مفروشة على الأسرة ليست مفروشة على الأرض، والفرش ما يعد للاتكاء والاضجاع وقت الراحة في المنزل، فيخطر بالبال في البداية مصاحبة الحور العين معهم في تلك الفرش فيتشوق إلى وصفهن ، فكانت جملة (أنشأنهن) بيانا له ، كأنه طرأ سؤال في الخاطر عن صفات الرفيقات ، فالضمير في "أنشأنهن " عائد إلى غير مذكور في الكلام ، ولكنه ملحوظ بالذهن[1].

(١) التحرير والتنوير ٢٧/٣٠٠.

وعلى ذلك يكون المراد (بالُفرش المرفوعة) النساء على سبيل الكناية ، كناية عن موصوف ، ، حيث ذكر الصفة وأراد الموصوف بعلاقة التلازم ، والقرينة جملة " إنا أنشأنهن إنشاء " ، جاء في كتاب إعراب القرآن (إن فسرت الفرش بأنها جمع فراش كان معناها حقيقة أي مرفوعة على السرر ، وإن أريد بها النساء كانت كناية عن موصوف ، والعرب تسمى المرأة فراشا ولباسا ويدل على هذا التأويل قوله تعالى :"إنا أنشأنهن إنشاء".(١)

وجاء في روح المعاني :"(...وقال أبو عبيدة المراد بها النساء لأن المرأة يكنى عنها بالفراش كما يكنى عنها باللباس ورفعهن في الأقدار والمنازل .... وأيد إرادة النساء بقوله تعالى : " إنا أنشأنهن إنشاء " لأن الضمير في الأغلب يعود إلى مذكور متقدم وليس إلا الفرش ، ولا يناسب العود إليه إلا بهذا المعنى)(٢).

اللفظ الدال ← المدلول الأول" المعنى االوضعي للفظ " ← المدلول الثاني" المعنى الكنائي "

↓ ↓ ↓

فرش ← الفرش الحقيقية ← النساء

وبذلك يكون المعنى أن هؤلاء النساء مرفوعات على معنى أنهن عاليات الأقدار محمودات ، وذلك كله من جملة ما أعده الله للمؤمنين " أهل اليمين " وهو دافع نفسي قوى للمتلقي ، لما جلب عليه غريزيا ، من المتعة النفسية بهذه الأشياء.

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لمحي الدين درويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص سورية ، ط ٤ ١٤١٥ هـ ، ٤٣٢/٩ .

(٢) روح المعاني ، شهاب الدين ، الألوسي ، ١٤١/١٤، علي عبد الباري عطيه ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤١٥ هـ

وفي قوله تعالى: " عربا أترابا " (كناية أيضا عن عودتهن أو نشأتهن في سن صغيرة ... والعرب جمع عروب وهي المتحببة إلى زوجها ، والأتراب : هن اللواتي على ميلاد واحد وسن واحدة)[١].

والعرب : جمع عروب بفتح العين ، ويقال : عربه بفتح فكسر فيجمع على عربات كذلك ، وهو اسم خاص بالمرأة . وقد اختلفت أقوال أهل اللغة في تفسيره ، وأحسن ما يجمعهما أن العرب : المرأة المتحببة إلى الرجل ، أو التي لها كيفية المتحببة ، وإن لم تقصد التحبب ، بأن تكثر الضحك بمرأى الرجل أو المزاح أو اللهو والخضوع في القول أو اللثغ في الكلام بدون علة أو التغزل في الرجل أو المساهلة في مجالسته والتدلل وإظهار معاكسة أميال الرجل لعبا لا جدا وإظهار أذاه كذلك كالمغاضبة من غير غضب بل للتورك على الرجل ، والعروب : اسم لهذه المعاني مجتمعة أو مفترقة أجروه مجرى الأسماء الدالة على الأوصاف دون المشتقة من الأفعال،فالمعنى : أنهن جعلن في سن متساوية لا تفاوت بينهن أي هن في سن الشباب المستوي فتكون محاسنهن غير متفاوتة في جميع جهات الحسن ، وعلى هذا فنساء الجنة هن الموصوفات بأنهن أتراب بعضهن لبعض . [٢]

فإذ كانت نساء أهل الدنيا الصالحات يدخلن الجنة ، وهن قد متن في سن متقدم من العمر ، ولكن الله يكافأهن برجوعهن إلى سن الشباب ، بحيث يكن جميع نساء أهل الجنة في سن الشباب متساويات في جميع جهات الحسن فهن أتراب بعضهن لبعض، كما اتضح في الآيات السابقة) إنا أنشأنهن إنشاء (٣٥) فجعلناهن أبكارا (٣٦) ف (الْإِنْشَاءُ :الْخَلْقُ وَالْإِيجَادُ فَيَشْمَلُ إِعَادَةَ مَا كَانَ مَوْجُودًا

(١) إعراب القرآن وبيانه ، ٤٣٢/٩.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٣٠١/٢٧.

وَعُدِمَ..... يَدْخُلُ نسَاء الْمُؤمنِينَ اللاء كُنَّ فِي الدُّنْيَا أَزْوَاجًا لِمَنْ صَارُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَيَشْمَلُ إِيجَادَ نِسَاءٍ أُنُفًا يُخْلَقْنَ فِي الْجَنَّةِ لِنَعِيمِ أَهْلِهَا.)[1].

فاللفظ الدال على الكناية ← المدلول الأول"المعنى المعجمي للفظ" ← المدلول الثاني "المعنى الكنائي"

↓ ↓ ↓

" أترابا" ← "المستويات في سن واحد " ← "عودة النساء اللاتي دخلن الجنة إلى سن الشباب"

وهذا تحفيز للنساء كذلك للتحلي بالفضائل والعمل بالمعروف ، والبعد عن مغضبات رب العالمين ، ليكون جزاؤهن يوم القيامة الفوز بالجنان والعودة إلى سن الشباب مع أزواجهم ، كما وعدالله عز وجل في كتابه .

*قال تعالى : وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ(٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤)(الواقعة)

أصحاب الشمال هم أهل النار أصحاب الأعمال المشئومة التي جرت عليهم ويلات في الآخرة لا مفر منها ، فلا سبيل لتوبة ولا طريق لعودة، والقرآن الكريم استعمل هذا التعبير كناية عن موصوف وهم الكافرون المعذبون في نار جهنم ، فهم أهل الشؤم والعذاب ، ثم كنى بسوء منقلبهم والعذاب الذي ينالهم بباقي الآيات .

فتحقق العدول الكنائي بالانتقال من المعاني الوظعية المعجمية للألفاظ إلى الدلالة الكنائية المفهومة بدلالة السياق ، بعلاقة التلازم ، إذا يلزم من كونهم في السموم والحميم أنهم أهل عذاب ومهانة وشقاء وشؤم على أنفسهم .

(١) التحرير والتنوير ٢٧/ ٣٠١.

فهنا عدول عن الدلالة الحقيقية للفظ أصحاب الشمال ، إلى دلالة أخرى تفهم من وراء هذا اللفظ وهم " الكفار " أهل الشمال.

الدال ← المدلول الأول " الدلالة المعجمية للفظ " ← المدلول الثاني" الدلالة الكنائية"

↓ ↓ ↓

لفظ الشمال ← الآتي من جهة الشمال حقيقة ← الكفار

والسموم :هي الريح الشديدة الحرارة، كأنه مأخوذ من السم ، والحميم : هو الماء الشديد الحرارة ، واليحموم : هو الدخان الأسود(١).

اللفظ الدال ← الدلالة الأولى" الدلالة المعجمية للألفاظ ← الدلالة الثانية "الدلالة الكنائية"

↓ ↓ ↓

في سموم وحميم ....ألخ ← حرارة الهواء والماء وظل الدخان ← سوء منقلب الكفار وعذابهم .

فقد عدل عن الدلالة الحقيقية في (سموم وحميم وظل من يحموم) ، إلى دلالة تفهم من السياق وهو سوء منقلب أهل الشمال والعذاب الئي ينالونه ، وانحطاط منزلتهم يوم القيامة ، إذ يلزم من كون الهواء في الجو شديد الحارة يلفح وجوههم ، والماء شديد الحارة يشوى بطونهم ، والظل الذي يحتمون تحته هو نفسه دخان اللهب ، يلزم من ذلك كله سوء منقلب أهل الشمال وعذابهم الشديد ، وبذا دلل على سوء منقلب هؤلاء الكفار بوصف حالة مجلسهم ومطعهم ومشربهم ، ولا يوجد أسوأ مما ذكر ، وكل ذلك باعث للنفس للخوف من الله والحث على عمل الطاعات حتى لا يكون مصيرهم مصير أهل الشمال .

(١) التحرير والتنوير ٣٠٤/٢٧.

ويتضح من ذلك أن الكناية عدول دال على ما عدل عنه ، وهذا العدول لا يعني الستر والإخفاء ، وإنما عدول مدلول عليه بما عدل إليه ، كما يظهر أن الكناية تمر بمرحلتين متلازمتين من الدلالة ، ليتم الوصول إلى المعنى المراد والمقصود بها ، أحدهما : الدلالة الموضوعية المعجمية المباشرة لألفاظ الجملة وهي "المعدول عنها" ، والدلالة الأخرى : هي دلالة هذا المعنى المباشر المعجمي الصريح على المعنى المراد والمقصود من السياق وهو "المعدول إليه".

فالعدول الكنائي ورد في سورة الواقعة وجاء في أبدع صوره ومعبرا عن مقاصدها البلاغية الجميلة والرقيقة ، فالكناية لون إبداعي يجاوز المبدع فيه اللغة التقريرية ، والنمط السائد إلى اللغة الإيحائية ، والأفق البعيد ، ليعبر عن فكره ووجدانه في مقام معين ، مع التأثير والإقناع في المتلقي الذي يمثل غاية النص الإبداعي ، فيبلغ بذلك الهدف الذي يبتغيه.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وعم نوره الأرض والسماوات ، وأرسل رسوله بالهدى لجميع المخلوقات ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فقد تناولت مفهوم العدول ، ثم الجانب التطبيقي له في سورة الواقعة ، ومدى تأثيره في آداء المعنى المراد في الآيات .

فالعدول ظاهرة مهمة في اللغة العربية ، ووسيلة من وسائل توسُّعها، مع كونه أداة فنية وجمالية عرفتها اللغة منذ القدم ، فقد تنبه العرب لهذه الظاهرة " العدول " ، وظهر مفهوم االعدول في العصر الحديث سواء عند العرب أو غير العرب ، بمصطلحات كثيرة مثل ، الانحراف ، والميل عن القاعدة ، والجسارة اللغوية ، والتغريب ، وغيرها .

والبلاغيِّون لا يعتدُّون – غالبًا – من حيث القيمة الجمالية إلا بما يُمثِّل عدولاً عن أصل معنى الكلام؛ بل يمكن أن نخلص إلى أنَّ البحث البلاغي عند العرب يتركز على مقولتين، هُمَا: الأصل المألوف، ثم العدول عنه، مع بيان مراتب العدول وآثارها الجمالية، التي تتصل بالمعنى وتلونه، وتصله بحالة المخاطَب في غالب الأحيان، وبحالة المتكلِّم في القليل منها[1].

نلتمس مما تقدم من مفهوم العدول عند القدامى ، أن العربي اللغوي اصطنع لنفسه نظاماً خاصاً ليضيف على كلامه بعض صور الجمال بما يحمله النص من قوةٍ مؤثرة وإيحائية لها أثرها في أذن السامع.وقد توصلت لمجموعة من النتائج منها:

(١) البلاغة والأسلوبية ، ص ٢٧٠.

١- الحقيقة تقف عند دلالة الألفاظ الوضعية لا تتعداها ، فيأتي العدول البياني ليعبر عن المعاني الكامنة فيما وراء الدلالة الوظعية للألفاظ ، لتكون دلالات جديدة ، وهذا ما يعنيه البلاغيون عند الانتقال من الحقيقة إلى المجاز.

٢- وُظف العدول البياني في سورة الواقعة للدلالة على المعاني الكامنة وراء الألفاظ خير توظيف ، وأدركت القيم البلاغية والإيحاءات المفهومة من المدلولات .

٣- إن العدول يظهر في اللغة في شكلين اثنين تتولد منهما مجموعة من الأشكال في اللغة ، الأول : العدول الدلالي البياني الذي يرتبط بالصور البلاغية ،كالاستعارة و التشبيه و المجاز و الكناية ؛ ولذلك يمكن تسميتُه بالعدول التصويري ، والثاني هو العدول التركيبيُّ الذي يرتبط بالتركيب والنحو والمعجم وما يتصل بهم.

٤- العدول البياني يمثل عملية واعية تقوم على رصد الصلات المشتركة بين المعنى الأول والمعنى الثاني ، أو بين المعنى المباشر ومعنى المعنى كما قال الجرجاني.

وبعد فنرجو من الله أن يهدينا إلى الصواب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المراجع

- القرآن الكريم.

١ – الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧م .

٢ – أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، حمود شاكر أبو فهر مكتبة الخانجي ،ط ١ ١٩٩١م.

٣ – الأسلوب والأسلوبية، عبدالسلام المسدي ، ط ٣ الدار العربية للكتاب ، تونس .

٤– الإعجاز الصرفي ، عبدالحميد هنداوي ،عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية – بيروت،ط١ – ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

٥ – إعراب القرآن الكريم وبيانه ، لمحي الدين درويش ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية حمص سورية ، ط ٤ ١٤١٥ هـ .

٦ – الإيضاح في علوم البلاغة ، جلال الدين أبوعبدالله القزويني ، ط١ ، ، ٢٦١ دار الكتب العلمية .

٧– البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) المحقق: صدقي محمد جميل الناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ

٨ – البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، مصطفى الصاوي الجويني ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٣٥ .

٩ – البلاغة العربية قراءة أخرى ، عبد المطلب ،الشركة المصرية العالمية للنشر١٩٩٧م ط١،.

١٠ – البلاغة والأسلوبية ، عبدالمطلب محمد ، الهيئة المصرية العامة ، ط ٤ ، ١٩٩٨ م .
١١– التحليل الدلالي للصور البيانية عند "ميشال لو غوارن "بسام بركة، مجلة الفكر العربي المعاصر ١٩٨٨م
١٢– التشبيه والاستعارة "منظور مستأنف" يوسف أبوالعدوس ، دار المسيرة للطباعة والنشر عمان ، ط١ ٢٠٠٧ م .
١٣ – الخصائص لابن جني ، ج٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١.
١٤– دروس البلاغة العربية نحو رؤية جديدة ، الأزهر الزناد، نشر المركز الثقافي العربي المغرب – ط١٩٩٢.
١٥– دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق /محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٣
١٦– دلائل الإعجاز – عبدالقاهر الجرجاني ، تعليق : محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط١ ١٩٩٤ .
١٧– رؤية في العدول عن النمطية في العبير الأدبي ، د. عبد الموجود متولي بهنسي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع .
١٨ – روح المعاني ، شهاب الدين ، الألوسي ، ١٤١/١٤، علي عبد الباري عطيه ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ ، ١٤١٥ هـ
١٩ – الصناعتين "الكتابة والشعر" أبو هلال العسكري ، تحقيق : مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ،١٩٨٤م .
٢٠ – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى الحسيني العلويّ ، المكتبة العنصرية – بيروت ،ط١ ،١٤٢٣هـ

٢١ – العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر ، مصطفى السعدي، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٠ م .
٢٢ – عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، أحمد بن علي السبكي ، تحقيق: خليل إبراهيم ، ط ١ دار الكتب العلمية ، ٢٠٠١م .
٢٣– العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي ، عبد الواحد حسن الشيخ ، مكتبة الإشعاع الفنية ، مصر ، الإسكندرية ، ط ١ ١٩٩٩م.
٢٤– علوم البلاغة ، محمد أحمد قاسم محي الدين ديب ، طرابلس، لبنان ، المؤسسة الحديثة للكتاب ٢٠٠٣مـ
٢٥– الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري، تحقيق / محمد باسل ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ط١ ،٢٠٠٠م .
٢٦– القاموس المحيط ، مجد الدين يعقوب الفيروزأبادي ، تح ، التراث مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢.
٢٧– الكناية والتعريض، أبو منصور عبدالملك محمد الثعالبي ، الطبعة الأولى ١٤١٨مـ ، ١٩٩٧مـ ، مطبعة المدني ، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة .
٢٨ – لسان العرب ، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ٢٠٠١ م.
٢٩– المثل الثائر في أدب الكاتب والناثر، لابن الأثير ، تحقيق /د بدوي طبانه و د/ أحمد الخولي ، مكتبة نهضة مصر،١٩٦٠م .
٣٠– مجاز القرآن ، أبو عبيدة ، ط القاهرة ، مكتبة الخانجي ،عام ١٣٨١م .
٣١– مجلة مقاليد ، العدد الثاني – ديسمبر ٢٠١١ " المنظومة الصطلاحية للبلاغة العربية وأهميتها في التحليل البلاغي " ، د.مسعود بودوخة ، جامعة سطيف" الجزائر " .

٣٢ – معجم اللغة العربية المعاصرة ، أحمد مختار عمر ، ط ١ عالم الكتب ، ج٢.

٣٣ – مفتاح العلوم ، أبو يعقوب محمد بن على السكاكي ، تحقيق : أكرم عثمان يوسف ، مطبعة دار الرسالة ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨١م .

٣٤– مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ،حامد صالح الربيعي ،الناشر جامعة ام القرى ،١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.

٣٦ – مقاييس اللغة ، ابن فارس ، دار الفكر ، ط ١٩٧٩، ج٣.

https://www.alukah.net/literature_language/0/124915/#ixzz5e1fhps7Y